## الصدق

لحضرة الكاتب الفاضل قسطاكي افندي الحمصي في حلب

ومن هوى الصدق في قولي وعادتهِ  رغبت عن شعرٍ في الرأس مكذوبِ

أجَلْ ايا الطيّب ان الصدق رأس الفضائل وانهُ لأفضل ما تحلى بهِ العاقل ودلّ على كبر الهمة وشرف الشمائل لكني رأيتك تتحامى الكذب في شَعرك ولا تتحاماهُ في شِعرك وتتحاشاهُ في مفرقك ولا تتحاشاهُ في منطقك ولعمري لو لم يكن من شرف الصدق الا ان كل احدٍ يدّعيهِ ما احتاج فوق ذلك شرفاً ولو لم يكن من دناءة الكذب الا ان صاحبهُ يذمهُ ويتبرّأ منهُ لكفى

ومن الغريب ان الكذب على مقتهِ وعموم الاعتراف بشرهِ قد طبّق انحاء الارض كلها فدخل مضارب الشعر في القفار وولج بيوت الاكارين في المزارع وقصور الكبراء في الامصار الا انهُ عند البدو الظاعنين اقلّ منهُ عند القرويين المقيمين وعند هؤلاء اقلّ منهُ عند اهل المدن وكلما كثر امتزاج الناس بعضهم ببعض وكثرت حاجاتهم زاد احتياجهم الى الكذب فقلما يستعين بهِ البدو لقلة حاجاتهم ولاستغناء بعضهم عن بعض الا في القليل من شؤونهم فرماحهم في غزواتهم تغنيهم عنهُ وفي ايام سلمهم يقنعون بالتافه من القوت والكُسى فلا تضطرهم احوال اجتماعاتهم وعاداتهم الى التحيّل والكذب فهم في الحقوق شرعٌ لا يهابون كبيراً ولا يمتهنون صغيراً وقد الفوا الحرّية في سائر اطوارهم ومن شأنها ان تعلو باخلاقهم عن عار الكذب . واما اهل القرى فحاجاتهم اكثر ولا قدرة لهم على كسب معايشهم

والوصول الى ضروریاتهم الا بالطرق المسنونة واخلاقهم لیست کاخلاق البدو من حیث الأنفة والترفع عن الدنایا لحمول تربیتهم وسفالة همهم واختلاطهم باهل المدن فان البدويّ یکتفي بقمیص یستر بهِ سوءتهُ لباساً وبقلیلٍ من اللبن او بحفنةٍ من الدقیق معجونة بقلیل من السمن قوتاً وبعشر اذرع من نسیج الشعر یرفعهُ على اغصانٍ من الشجر مسکناً . واین منهُ احتیاج القرويّ فلباسهُ اکثر عدداً وطعامهُ اوفر الواناً ولا یسکن الاّ المبنيّ وهو لا یغزو الا الارض الصامتة الجامدة لا برجٍ على ظهر فرسٍ سابح بل بمجراتٍ على ظهر ثورٍ ناطح ویخضع لحکم شیخ قریتهِ ویرعى الماشیة وهي اودع الحیوانات الاّ هلة ویتذلل لمزارعهِ بل مولاهُ العاتي من اغنیاء اهل المدن لیحمیهُ من غارات البدو واعتداء اللصوص وجور جیرانهِ المستبدّین ویستدین منهُ لتقویة زراعتهِ وکلها احوال تدعوهُ مع ما هو علیهِ من الجهالة والامیّة الى المذلّة والصغار فتموت من نفسهِ الأنفة والعزّة ویعجز عن تحصیل معایشهِ لتسلّط مزارعهِ على مزروعاتهِ وهضمهِ حقوقهُ فیتحیّل لذلك بادنى الوسائط واسهلها ولا کالکذب سببٌ یرتزق بهِ الاوغاد والسفلة . ومع ذلك کلهِ فانهُ لما کانت حاجاتهم مقصورةً على القلیل من الضروريّ لم یفشُ بینهم الکذب فشوّهُ بین اهل المدن الکبیرة ممن نقصت موارد رزقهم عن الوفاء بحاجاتهم المتعددة وزادت کمالیاتهم على ارباحهم المحللة وفسدت آدابهم واغوتهم النفس الأمّارة واشتدّ فیهم الحسد ورام الصغیر التشبه بالکبیر والصعلوك الاقتداء بالامیر في ملابسهم ومساکنهم وسائر احوالهم فمالوا الى الکذب - وفیهِ کل انواع الحیلة والخدیعة والمکر - في سائر معاملاتهم وبات الصانع یکذب

التاجر والاعلى يهضم كذبة الادنى بلا استحياء . واشد ما كان منهُ في المجتمع الانساني عمومهُ أمم الفرنجة في القرون الوسطى المعرّفة عندهم بالقرون المظلمة بعكس ما نراهُ اليوم من بُعدهم عنهُ واشمئزازهم منهُ واحتقارهم من يوصف بهِ وهذا مما يؤيّد لك ان الامة كلما زادت معارفها واستبحرت في العمران نهجت سُبل الفضائل واقصت عنها الرذائل . ونحن اذا ما اردنا ان نقفو آثارهم تحتم علينا ان نتجنّب الكذب في جميع احوالنا فلا يكفيك ان تصدق في اقوالك لصلاح احوالك بل عليك ان تسلك السبيل القصد في كل اعمالك وتصدق في اكلك ونومك وقيامك وقعودك وذلك بان لا يختلف ميعاد هذه الامور عن الامس ولا عن الذي قبلهُ فان بذلك دوام عافيتك وصلاح امرك وقوام مصلحتك وسلامة اعمالك اذ يعلم صديقك ومعاملك وشريكك وطاهيك وكاتبك وجايبك وغيرهم ممن تحتاج اليهم ويحتاجون اليك ساعة نهوضك من فراشك وقعودك لهم وساعات اشتغالك بمصالحك واوقات راحتك وأوقات فراغك ومواعيد اكلك وغيرها فلا يدهمك احدهم في ساعةٍ ليست لهُ ولا يلهيك غيرهُ بشغل لست لهُ متفرّغاً فتضيع اوقاتك سدًى وكثيرًا ما تخسر بذلك ما لا تستطيع لهُ تعويضاً . وعليك ان تصدق في نصحك وودك وعهدك ونقدك وذلك بان تتجرّد عن الأَثَرة لا تنظر الاّ مصلحة المستنصح وان تخلص لصديقك فلا تكتم عنهُ عيوبهُ فالصديق مشتقٌ من الصدق وان لا تخلف عهدًا ما عشت فقد جاء في امثال العامة وعدٌ بلا وفاءٍ عداوةٌ بلا سبب . وان تجتنب التدليس فيما تكلف نقدهُ وتمييزهُ من سلعةٍ او كتاب فتنظر فيما يُعرَض عليك منهُ نظر الفاحص المتبصر كأنما تنظر

في ذلك الشيء لنفسك ثم تخبر بما ترى اخبار المخلص الصادق فيما يقول فتذكر ما يبدو لك من حسنهِ وقبحه او صوابهِ وشططهِ لا تأخذك في الحق لومة لآئم ولا مخافة لسان سفيهٍ شاتم

ولتعلَم ان النقد رائد التقدم في طريق الكمالات الانسانية وشعار الامم المستبحرة في العمران وقد عرف قدرهُ فضلاء الافرنج فاصبح عندهم علماً قائماً برأسهِ تطأطئ لهُ رؤوس فحولهم ولا يحسن الكتابة فيهِ الا الائمة الافراد فلا يظهر عندهم كتابٌ او رسالة الا تلتها فصول النقد تنشر في صحف الاخبار ومجلات العلوم فتفنّد الرأي الضعيف وتأتي على اطراء الرجيح وتبين الاغلاط وتبدي ما يعنّ لاصحابها من مدح او ذمّ فهم " لا يقبلون على الحق رشوةً ولا يرضون من امانة العلم ثمناً " غير هيابين ولا محابين ولا ملقين الكلام على عواهنهِ ولا مبالين بمنزلة الكاتب ولو كان رفيعاً ولا باخسين من حقهِ ولو كان وضيعاً فعرف الكاتب منهم حدّهُ ولم يتعدّهُ ونهض النقد بكتاباتهم وسائر عوائدهم واخلاقهم الى ارفع المنازل واسمى المراتب وكان منهُ ان قيّد الكتّاب — الذين يحترمون العلم و يرغبون في مرضاة اهلهِ — فلم يقدم احدهم على نشر كتابتهِ وتأليفهِ الا بعد الفحص الطويل والتهذيب المدقق وهو على يقينٍ من انتقاد الناقدين فكأنهم تمثلوا بقول الشاعر

ايّاك تعرض للنحاة قصيدةً ما لم تكن بالغت في تهذيبها
فاذا عرضت الشعر غير مهذّبٍ ظنوهُ منك وساوساً تهذي بها

ولمّا كان العالم العاقل يعلم ان العصمة لله لم يستنكف اكبر علمائهم من الاقرار بخطائهِ وغلطهِ عند اظهارهِ من النقّاد وهو يسرع الى اصلاحهِ عند

طبعهِ ثانيةً وقد يعترف بفضل الناقد عليهِ لا تأخذهُ في ذلك عزّة النفس الكاذبة ولا الانانيّة الخادعة . وانّى لنا ان نؤمّل البلوغ الى سلّم الترقي في معارج الفضائل البشرية والحضارة الحقيقية ونحن لا نرضى الاّ ان يُستحسن ولو رياءً كل مانقولهُ ونفعلهُ ولا نطيق ان نسمع الاّ التملق والمداهنة وان نكذب ويُكذَب علينا ابد الدهر . واين نحن من اولئك القوم ان البغاث بارضنا يستنسر وان صغير الكتّاب عندنا ليشمخ و يستكبر فلا يصبر على نقد كلامهِ وان بيّن الناقد الغلط واوضح الخبط والشطط ولا يزيدهُ ذلك الاّ اصراراً على الخطاء ومكابرةً وعناداً

يشذّ عن القياس ولا يبالي ويحمي غلطةً منهُ بغلطه

وهو يحسب انهُ قد احاط بعلوم المتقدّمين والمتأخرين وان الصواب وقف على كلامهِ بل قد يتخطّى حدود الادب الى المماراة والصلف والدعاوى العريضة فينصب نفسهُ في مقام الحكَم ويتحرّش بمن يعلوهُ علوًّا عظيماً وقد لايكتفي بهذا المذر والمذيان حتى يعترض على اكبر ائمة العصر وفحول علمائهِ ويقيس نفسهُ ببعض مشاهير العلماء المتقدّمين

ومن جهلت نفسهُ قدرهُ رأى غيرهُ منهُ ما لا يرى

ومثل هؤلاء الصغار يعدّون نفوسهم بين اهل النهضة الادبيّة في هذا العصر وقد استغواهم شيطان الغرور وغشي ابصارهم غشاء التملق فحاد بهم عن سواء الطريق فراحوا وكلة الحق لما في نفوسهم فعل السهام لا يغفرون كقائلها وان تراخت الايام . ويا ليت شعري ما هم صانعون لو اصابهم من مناخز النقد ما يصيب بعض كتّاب الافرنج ففيما كتبهُ جول لوميتر الكاتب الشهير

من النقد المؤلم والمآخذ التي اخذها على الشاعر بول فرلين والكاتب النحرير اميل زولا وغيرهما عبرةٌ لاولي الالباب ولو كان بول فرلين وغيرهُ من امثالهِ كبعض المتغطرسين عندنا لشغلوا جول لوميتر عن النقد بالمماحكة والمذر ولكان حالهم كحالنا من الجهل والادّعآء والمخرقة والخيلآء ولكنهم عرفوا فضل النقّاد وقدروا خدمتهم العلمية حق قدرها فاجازوهم عن كل سطر من كتاباتهم بالاموال الطائلة واحلوهم بينهم المنزلة الرفيعة · ونحن ولا احابي عندنا من هو اعلم واكتب من جول لوميتر فمتى يتأدّب فتياننا بادب بول فرلين وامثالهِ

فغنى كل كاتبٍ واديبٍ جملةٌ من محاسن الاخلاقِ
ان عُجب الاديب مستفجٌ اف ماف تقبيحهِ على الاطلاقِ
هذّبِ الطبع قبل تهذيبك اللف ـ ظ وجانب ما اسطعت شر الشقاقِ
جوهر النفس ظاهرٌ من ورآء الـ ـقول يجلوهُ زئبق الاوراقِ
فاتضع ترتفع باعين اهل الـ ـعلم وانبذ مقال اهل النفاقِ

## الصم يسمعون والبكم ينطقون

قرأنا في احدى المجلات العلمية التي تطبع في باريز خبر اختراع آلةٍ عجيبة سيكون لها شأن خطير في مستقبل الزمن فآثرنا تلخيص ما ورد في هذه المجلة افادة لقرآئنا الكرام قالت

في اليوم ١٩ من شهر دسمبر الفائت اجتمع جمهور من العلمآء في دار اوجين باريز في باريز لتجربة الآلة الجديدة التي صنعها الاستاذ دُسُّود مدرّس علم الطبيعة في مدرسة جنفرا الصناعية لتنبيه حاسة السمع في الصمّ وهي آلة